تدريس الأدب العربيّ في الجامعات المصريَّة

د. سيِّد البَحْراوي*

لا شكّ أنّ ذلك المشهد الأخير، المثير، يستحقّ تلك الوقفةَ الجادّةَ المتأنّية. فربُّما نَجَحَتْ تلك الوقفة ـ ولو لمرّة واحدة ـ في تفسير المشهد وفهمه، وكيف يُمْكن أن يصير في المستقبل.

طلاب جامعيُّون، من جامعة الأزهر ـ وكان يُمْكن أن يَحْدث ذلك في أيّ جامعة أخرى ـ يخرجون لأوّل مرّة في تاريخ مصر في مظاهرة حاشدة، امتدّت أكثر من يوم، ضدّ روايةٍ [هي **وليمة لأعشاب البحر** لحيدر حيدر] سمعوا أنّها تسيء إلى الدين الإسلاميّ. خَرَجت المظاهرة بتأثير مقالات نُشرتْ في صحيفة كانت تنتمي إلى المعارضة السياسيّة. ثم تحالفَتْ مع تيار دينيّ محظور وتبنّتْ أفكارَه. وأيَّدَتْها أقلامٌ في صحف مختلفة، من بينها صحفٌ حكوميّة. وبرَّرتْ هذه المظاهراتِ وتبنّتْها قياداتُ جامعة الأزهر التي تَنْتمي في الوقت نفسه إلى الحزب الحاكم.

في المواجهة، قَمَعَت الشرطةُ بعنفٍ مظاهراتِ الطلاّب، الأمر الذي أدّى إلى إصابات بالغة. وقبل هذا وبعده، صدرتْ مقالاتٌ تدافع عن الرواية وتُهاجم مهاجميها. وشكّلتْ وزارةُ الثقافة (ناشرةُ الطبعة المصريّة من الرواية) لجنةً من «كبار» النقّاد لتبرير موقف الوزارة وبيان قيمة الرواية «الفنيّة!» هذا بغضّ النظر عن المسمّيات المتعدِّدة والمتردِّدة التي أُعطيتْ لمهمة هذه اللجنة، التي كان أعضاؤها من أساتذة الأدب العربيّ في الجامعات المصريّة. وقَبلت اللّجنةُ هذه المهمّة، وأعدّت تَقْريرًا لصالح الرواية، في مقابل التقرير الذي أصدره الأزهرُ مدينًا إيّاها. وبصرف النظر عن قرار القضاء، فقد تحقّق للسلطات كلُّ ما كانت تريده: تجميدُ حزب مشاغب، وإغلاقُ صحيفته، وتكميمُ أفواه الأدباء والفنانين وترويعُهم، وزيادةُ القمع الداخليّ الذي كان قائمًا أصلاً قبل ذلك.

اللُّعبة ـ إذن ـ سياسيّة في المقام الأول. لكنّ الأدوات التي استُخْدمتْ فيها كانت الأدبَ من ناحية، والجامعاتِ المصريّةَ من ناحية أخرى. وبمعنى أدقّ، استُخْدم طُلاّبُ الجامعة وأساتذةُ الأدب ونقّادُه لتحقيق الهدف. وكلُّهم قَبِلوا الدورَ وقاموا به، دون تفكير أو مناقشة. وهذا الدور أدّى إلى قمع الأدب: الطلابُ بمظاهراتهم؛ وأساتذةُ الأدب بقبولهم أن يكونوا في لجنة سلطويّة مهمّتُها تبريرُ فعل السلطة، حتى لو كان ظاهريّاً لصالح الرواية. ولا بدّ هنا من التأكيد أنّ هذا الدور لم يُفْرض على هؤلاء أو أولئك، بل كانوا مؤهّلين تمامًا للقيام به. فهذا هو الوضع الطبيعيّ للأدب وطلاّبه وأساتذته في الجامعات المصريّة الآن، بل ربّما قبل أكثر من قرن من الزمان.

◆ ◆ ◆

أُنشئتْ أولُ مدرسة عليا حديثة لتدريس علوم اللُّغة والأدب والدين، وهي مدرسةُ دار العلوم، سنة ١٨٧٢. وكان الهدف منها تحديث دراسة هذه العلوم، في مقابل الدراسة التقليديّة في الأزهر. ومع ذلك استعانت هذه المدرسة بمدرِّسين من الأزهر، لأنّ حركة البعثات منذ محمد علي لم تكن قد شملتْ مبعوثين لدراسة هذه العلوم الإنسانيّة بل اقتصرتْ على دراسة العلوم ذات الطابع العمليّ. ومن ثمّ فإنّ طبيعة «دار العلوم» لم تكن حديثةً إلاّ شكليّاً، بحَيْث اضطرّت الجامعةُ الأهليّةُ المصريّة التي أُنْشئتْ سنة ١٩٠٨ إلى تنظيم محاضرات عامّة عن الأدب العربيّ استعانت فيها بمستشرقين، إلى جوار بعض المدرِّسين من دار العلوم. كان هذا قبل أن يستقلّ قسمُ الآداب سنة ١٩١٠، ثم كليةُ الآداب سنة ١٩١٦، وقبل أن تستقرّ نهائيّاً ـ بهذا المسمّى ـ في إطار جامعة فؤاد الأول الحكوميّة سنة ١٩٢٥. واستمرّت ـ إلى جوارها ـ دارُ العلوم.

* ـ أستاذ لمادة الأدب العربيّ في القاهرة، ومناضل مصريّ.

تدريس الأدب العربيّ في الجامعات المصريَّة

بعد ذلك أُنشئتْ جامعةُ فاروق (الإسكندريّة) سنة ١٩٤٢، ثم جامعةُ إبراهيم باشا الكبير (عيْن شمس) سنة ١٩٥٠، فجامعةُ أسيوط سنة ١٩٥٧. وبعدها توالى إنشاءُ الجامعات الأخرى في القاهرة والأقاليم: طنطا، المنوفية، قناة السويس، المنصورة، الزقازيق، بنها، المنيا، جنوب الوادي، بالإضافة إلى الجامعات الفروع، مثل فروع الفيوم وبني سويف والخرطوم التابعة لجامعة القاهرة وفرع جامعة بيروت العربيّة التابع لجامعة الإسكندريّة. وغير هذه الجامعات هناك الجامعة الأجنبيّة (الأميركيّة والفرانكفونيّة وما سوف يتبعها: ألمانيّة وإنجليزيّة وفرنسيّة) والخاصة مثل مصر للعلوم و٦ أكتوبر.

في كلّ جامعة من الجامعات الحكوميّة (حتى الآن) كليّةٌ للآداب. وفي كل منها قسمٌ للُّغة العربيّة وآدابها، يقوم أساتذتُه بتدريس طلاّبه وطلابِ الأقسام الأخرى في الكليّة وبعضِ أقسام الكليّات الأخرى (مثل الإعلام والاقتصاد والعلوم السياسيّة). وفي كل هذه الجامعات أيضًا كليّاتٌ للتربية، في كلّ كليّة منها قسمٌ للُّغة العربيّة يقوم بالمهمة نفسها، ولكنْ من منظور تربويّ أساسًا. وبالإضافة إلى ذلك توجد في بعض الجامعات كليّاتٌ تُجاورُ كليّاتِ الآداب، كما هو الحال في دار العلوم بجامعة القاهرة، وكليّة الدراسات العربيّة بفرعها في الفيوم. وكذلك الأمر بالنسبة إلى كليّتَي الألسن والبنات التابعتَيْن لجامعة عين شمس، وكذلك كليّات اللُّغة العربيّة والبنات واللُّغات والترجمة التي تَتْبع جامعةَ الأزهر. يضاف إلى ذلك أنّ بعض كليّات الآداب تَشْمل أقسامًا تدرِّس الأدب العربيّ غيرَ قسم اللُّغة العربيّة، مثل أقسام المسرح (في جامعتَيْ عين شمس والإسكندريّة) أو الإعلام في جامعات عين شمس وحلوان والمنيا.

◆ ◆ ◆

يبدو من هذا العرض الشامل أنّ تدريس الأدب العربيّ ممتدٌّ طولاً وعرضًا في أنحاء الوطن، ولعدد كبير من الطلاّب. بل إنّ هناك قرارًا لم يطبّق بعدُ بتدريس اللُّغة العربيّة (وآدابها) لجميع طلاب الجامعات المصريّة أيّاً كانت تخصُّصاتهم طوال سنوات الدراسة. ومع ذلك فإنّ هذا المظهر الباهر لا يُنْتجُ إلاّ حصيلةً هزيلةً تمامًا ـ بشأن موقع الأدب في المجتمع وفي نفوس دارسيه ومدرِّسيه، على المستويَيْن الكميّ والكيفيّ.

فالأدب العربيّ، في كل هذه الأقسام، يدرَّس كجزء من موادّ اللُّغة العربيّة أو كوسيلة لتعليمها، أو كموضوع لموادّ أخرى مثل البلاغة والنقد والتاريخ. فمثلاً في القسم الأقدم والأكثر رسوخًا في كل الجامعات المصريّة، وأعني قسمَ اللُّغة العربيّة وآدابها بكليّة الآداب في جامعة القاهرة، لا توجد مادةٌ مستقلّة لدراسة النصوص الأدبيّة بذاتها. وقد تدرَّس هذه النصوص ـ أو لا تدرَّس ـ ضمن موادّ تاريخ الأدب التي تبدأ من العصر الجاهليّ وحتى العصر الحديث، شاملةً الآدابَ الإقليميّة (الأندلسيّ والمصريّ والشعبيّ) في السنتَيْن الأخيرتَيْن، وشاملةً الأنواعَ الحديثةَ (المسرح والرواية والقصة القصيرة في السنة الرابعة فقط). كذلك يُمْكن أن تدرَّس بعضُ النصوص أو يشار إليها في المواد البلاغيّة أو النقديّة (مثل النقد القديم أو الحديث أو المدخل لدراسة الأدب أو المناهج النقديّة). وبهذا المعنى يَخْضع تدريسُ النصوص الأدبيّة أو عدمُه لفهم الأستاذ للمادة ولمنهجه وضميره، هي عوامل تتدخّل طبعًا في النصوص المختارة وكيفيّةِ تدريسها.

وبصفة عامة فإنّ المواد المتعلّقة بالأدب تدرَّس لمدة عشر ساعات أسبوعيّاً تقريبًا، بالنسبة إلى طلاّب أقسام اللُّغة العربيّة. أمّا طلاّب الأقسام الأخرى من كليّات الآداب واللُّغات، فإنّهم يَحْصلون على ساعتَيْن أسبوعيّاً تَخْتلط فيهما اللُّغة بالأدب والتاريخ والدين

من دون مشاركة الطلاّب في اختيار ما يَدْرسون وفي التعبير عن آرائهم لن تكون هناك جدوى من أيّ معلومات تُلقى عليهم

وغيرها من المواد. فإذا حسبنا العددَ الفعليّ لأسابيع الدراسة في الجامعة بعد إزاحة الإجازات والامتحانات، فلن نجدها أكثر من ثلاثين أسبوعًا على مدى العام الكامل.

◆ ◆ ◆

هذه الحدود الزمنيّة الضيّقة ـ إضافةً إلى مجموعة من الحدود العامة للتعليم الجامعيّ ـ تؤثّر دون شك في تحديد تعليم الأدب وغيرِه من التخصُّصات. ومن هذه الحدود كثرةُ عدد الطلاّب مقارنةً بأعداد الأساتذة والإمكانيّات الماديّة، مثل قاعات التدريس والمكتبة وإمكانيّاتِ الأنشطة الطلابيّة والقيود المفروضة عليها من أعلى. فأغلبيّة الطلاّب لا يستطيعون الحصولَ بسهولة على ما يريدون من المكتبات الجامعيّة، ولا ممارسةَ الأنشطة الفنيّة والأدبيّة والسياسيّة (طبعًا) التي يتمنُّون ممارستَها. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى المستوى الذهنيّ الذي يصل به الطالبُ إلى الجامعة، وهو مستوى متدنٍّ تمامًا، يكاد يكون أقربَ إلى غسيل المخّ بفعل غياب التعليم ما قبل الجامعيّ وغياب دوره الصحيح في التربية والتعليم، وبفعل جهاز الإعلام والتربية الأُسَريّة القامعة أو شبهِ المفقودة في العقود الأخيرة من حياة المصريّين. ولا شك أنّ المنهج التلقينيّ السائد في التعليم العام، وغيابَ القدرة على الفهم والتذوُّق والنقد، يتركان تأثيرًا حادّاً في الطلاّب، وبصفة خاصة في ما يتعلّق بالأدب والفن.

فالغالبيّة المُطْلقة من طلاّب قسم اللُّغة العربيّة والأقسام الأخرى يَدْخلون الجامعةَ ولم يقرأوا نصّاً أدبيّاً واحدًا، عدا النصوص التي كانت مقرَّرةً لهم في المدارس. وحين يبدأون الدراسةَ الجامعيّةَ يكونون قد نسوا هذه النصوص تمامًا، إنْ لم يكونوا قد كرهوها، وكرَّهَتْهم الأدبَ بصفة عامّة، إمّا لرداءة تلك النصوص أو للطريقة العقيمة التي تدرَّس بها، من قِبل مدرِّسين لا يَمْلكون مقوِّماتِ الحياة الإنسانيّة ماديّاً وعلميّاً، بل لا يَمْلكون أصلاً الدافعَ للحياة (وهو أيضًا وضعُ الطلاّب أنفسهم). ويكاد يكون مستحيلاً أن يَنْجح الأستاذ مع أكثر من عُشر الطلاّب في إقناعهم بأهميّة قراءة النصّ الأدبيّ... هذا إذا كان الأستاذُ من القلّة القليلة التي ترى ضرورةَ أن يَقْرأ الطلاّب النصَّ الأدبيَّ ذاتَه، لا ملخَّصًا أو مشروحًا في كتبهم أو كتبِ أساتذتهم.

فكما سبق القول ليس هناك إلزامٌ بتدريس النصوص ذاتها. وللأستاذ الحقُّ في اختيار النصوص أو عدمه، والاكتفاءِ بإشارات إلى بعض النصوص في سياق تاريخ الأدب أو النقد أو البلاغة. وأغلبُ الأساتذة يكتفون بالطريقة الأخيرة، سواء بسبب اليأس من الطلاّب، أو لضيق الوقت، أو لزيادة توزيع كتبهم، أو لأنّهم هم أنفسهم لا يحبُّون الأدبَ بل يتّخذونه مجرَّد مهنة لأكل العيش، أو لأنّهم لا يَمْتلكون منهجًا حقيقيّاً للتعامل مع النصوص الأدبيّة.

وفي تقديري أنّ المنهج الأساسيّ السائد في معظم الجامعات المصريّة هو منهج الشرح الموضوعيّ، المتأثِّر بالمنهج الوضعيّ الذي أرساه طه حسين في النقد العربيّ الحديث، أي الربط بين النصّ ومؤلِّفه وبيئتِه وتاريخِه بالمعنى السطحيّ للتاريخ. وهو في ذلك لا يَخْتلف عن الطريقة السائدة في الكتب المدرسيّة. ولكنّ اللّحظة المعاصرة أثمرتْ بعضَ الأساتذة المهتمِّين بالمناهج الشكليّة الحديثة. غير أنّ هؤلاء يمارسون هذه المناهج في المحاضرات بالطرق التلقينيّة نفسها التي يدرَّس بها الآخرون، بما يحوِّل هذه الممارسةَ إلى ما هو أقربُ إلى الألعاب أو الألغاز الغامضة التي تزيد من كراهية الطلاّب للأدب ودراسته معًا.

إنّ كارثة التلقين هي أنّه يُلغي أساسَ التعليم والتعلُّم، ويلغي ـ بالنسبة إلى الأدب والفن ـ القدرةَ على التذوُّق والتمييز. فبدون مشاركة الطلاّب في اختيار ما يَدْرسون وفي التعبير عن آرائهم

تدريس الأدب العربيّ في الجامعات المصريَّة

ووجهات نظرهم أو حتى مشاعرهم في العمل الأدبيّ أو الفنيّ الذي يدْرسونه، لن تكون هناك أيُّ جدوى من أيّ معلومات تُلْقى عليهم. فقد تعوّدوا ـ كما قال طه حسين نفسه منذ كتاباته الأولى ـ أن يتقيأوا ما تلقّوْه في ورقة الامتحان، وتنتهي صلتُهم به، ولا يبقى منه سوى ذكرى مُقْرفة لا بدّ أن تَنْتَقل إلى طلاّبهم في المدارس التي يعملون بها بعد ذلك... هذا إذا وجدوا مكانًا في هذه المدارس. أمّا إذا لم يجدوا، وهذا هو الأغلب، فإنّهم يعملون أيّ شيء: سائقي تاكسي، أو عمّالَ مصاعد في المستشفيات، أو لا يَعْملون على الإطلاق؛ وهنا تكون صلتُهم بالأدب قد انتهتْ إلى الأبد وكأنّها لم تَكُنْ. وليس منطقيّاً بعد ذلك أن أطالبهم بأن يحبّوا الأدبَ أو يدافعوا عنه، أو بألاّ يخرجوا في مظاهرة ضدّه، أو أن أطالب المجتمع بألاّ يجتزئ النصوصَ من سياقاتها أو أن يَفْهم الأدبَ بقانونه الخاصّ، وغير ذلك من الحجج التي ندافع بها عن أدبنا الذي لم نَنْجح إلاّ في زيادة كراهية الناس له.

◆ ◆ ◆

في مقابل هذه الصورة القاتمة، هناك قلةٌ من محبّي الأدب سواء من الطلاّب أو الأساتذة، يقاومون هذه الظروف، ويصرّون على أن يفعلوا ما يستطيعون علّهم يُنْقذون ما يُمْكن إنقاذُه. وفي هذا السياق أودّ أن أسجّل تجربةً خاصةً أعتزّ بها كلّ الاعتزاز، وأتمنّى لو تَمَتْ تجربتُها من قِبل آخرين لتبدو ثمارُها التي كانت دائمًا مُفْرحةً لي. هذه التجربة هي طريقتي في التدريس التي أمارسها منذ ربع قرن تقريبًا. ومن واجبي هنا أن أعترف بأنّ الفضل في تجذّرها في نفسي كان أستاذي العزيز الراحل عبد العزيز الأهواني.

ففي سنة ١٩٧٣، وكنتُ في السنة الثالثة بقسم اللُّغة العربيّة، كان الأهواني يدرّسنا مادةَ «الأدب الأندلسيّ.» كان لطيفًا رقيقًا، إنسانًا وعالمًا. فوجئتُ به بعد بداية الدراسة بشهر تقريبًا يَطْلب مني أن أُعدّ محاضرةً عن قضية «إقليميّة الأدب» لأُلقيَها على زملائي في المحاضرة التالية. كانت المفاجأةُ أكبرَ من قدرتي على تحمُّلها. فلجأتُ إليه مستغيثًا. لكنّه طمأنني، وشرح لي كيف أعود إلى المراجع، وكيف أقارن بين وجهات النظر المختلفة لأَخْلص منها إلى وجهة نظر تخصُّني. وحين قدّمتُ المحاضرة، وأذكر أنّها كانت متوسّطةَ القيمة، كان رؤوفًا بي، وبدأ يستلّ من الخيوط التي نسجتُها خيوطًا نمّاها وناقَشَها، ليخرج منها برؤية علميّة متكاملةٍ ودقيقةٍ للموضوع.

غيّرتني هذه التجربةُ تمامًا، ووجدتُ نفسي أَحْلم بتطويرها وتنفيذها. وهذا ما فعلت.

في بداية كل عام ـ ومع كل الطلاّب والأقسام بما في ذلك طلاّب الفرقة الأولى ـ أَشْرح للطلاب فهمي للتعليم الجامعيّ وكيفيّته، ودورَ كلٍّ من الطالب والأستاذ، وضرورةَ مشاركة الطلاّب في العمليّة التعليميّة. ثم نَنْتقل إلى مناقشة الموضوعات التي يُمْكننا دراستُها خلال العام، وأصرّ على أن يَشْترك الطلاّب منذ البداية في اختيار الموضوعات والنصوص وتوزيعِها على مدار العام. ثم يختار كلُّ طالب أو مجموعة منهم الموضوعاتِ التي تروقُ لهم لإعداد محاضرة حولها، أو النصّ الذي يُمْكن أن يقدّموا تحليلاً له أمام زملائهم. وعادةً أفضّل الانطلاق من النصوص لتقودنا إلى القضايا أو المراحل التاريخيّة التي تمثّلها.

في البداية يَقْتنع عددٌ قليل من الطلاّب بالتجربة. وحدث أحيانًا أن رُفضتْ تمامًا. لكنْ مع الوقت، ومع ممارسة التجربة مرةً ومرتين، يزداد عددُ المقتنعين، بحيث لا يَكْفي الوقتُ في نهاية الفصل الدراسيّ لكي يقدِّم كلُّ الراغبين محاضراتهم. عادةً لا أتدخّل في إعداد الطالب أو الطالبة للمحاضرة، ولا في كيفيّة تقديمها، إلاّ إذا

في البداية لا يثق الطلاّب بالأساتذة لكون هؤلاء جزءاً من السلطة، ويخافون من زملائهم الذين لم يتعوَّدوا الحوارَ معهم كأنداد

لجأ إليَّ لطلب مزيد من المراجع غيرِ التي أعطيتُها في البداية. ومع كل موضوع نَقْسم وقتَ المحاضرة نصفَيْن: النصف الأول يُلقي فيه الطالب الذي أعدّ البحثَ محاضرتَه، ويُمْكن أن يَشْترك في ذلك أكثرُ من واحد أو واحدة إذا كان العمل جماعيًا. وفي هذه الأثناء أجلس بين الطلاّب ولا أتدخل، إلاّ إذا حدث شيءٌ غير عاديّ، كأنْ يَعْجز المحاضِر مثلاً عن إكمال بحثه نتيجةً للتلعثم أو الخوف (وهذا يحدث أحيانًا في البدايات) أو أن يصرّ بعضُ الطلاّب على مقاطعة المُحاضِر.

بعد المحاضرة يُفتح بابُ النقاش للطلاّب، وأحرص على أن يدير المحاضِرُ المناقشة دون تدخُّل مني إلاّ في أضيق الحدود. أحاول أن أعلِّمهم كيف يَنْبغي أن يكون النقاشُ موضوعيّاً، بعيدًا عن الأغراض الشخصيَّة، وكيف يجب على كل واحد أن يَعْترف بحقّ الآخرين في الكلام وفي الرأي مهما كان مختلفًا. أثناء المحاضرة والنقاش أسجّل ملاحظاتي الإيجابيَّة والسلبيَّة، وبعد أن ينتهي الجميعُ من مناقشاتهم، وبعد ردّ المحاضِر ـ وأحيانًا قَبْلَه إذا رغب هو في ذلك ـ أقوم بالتعقيب. فأبدأ بالإيجابيّات، سواء في المحاضرة أو في المناقشة، ثم أصحِّح الأخطاء إنْ كانت هناك أخطاء، وبعد ذلك أُمْسك بالخيوط التي لم يَنْجح المحاضِرُ في بلورتها، وأُعيدُ نَسْجَ الصياغة الكاملة للقضية أو تحليل النصّ، مستعينًا طوال الوقت بما قاله المحاضر أو المناقشون، ولكنْ في سياق جديد أكثر تماسُكًا وإقناعًا. ومع ذلك أُصرّ ـ في النهاية ـ على أنّ ما انتهَيْتُ إليه، وإنْ كان منطلقًا مما قالوه، يمثِّل وجهةَ نظري، ولهم أن يَقْبلوها أو يَرْفضوها، شرط أن يكون موقفُهم علميّاً، أيْ مدعومًا بالأدلّة والأسانيد.

في مثل هذه المحاضرات، ليس هناك كتابٌ مقرَّر سوى النص موضوع الدراسة، روايةً أو قصيدةً أو قصةً قصيرة أو مسرحية.

ما سوى ذلك مراجعُ يطّلعون عليها بالكيفيَّة التي تناسبهم. وأُلحّ على أنّ كتبي ـ كغيرها ـ ليست سوى مراجعَ؛ وأحيانًا أتجاهل ذكرَها عامدًا.

مع الزمن والخبرة أصبحتُ أكثر وعيًا باحتياجات الطلاّب الحقيقيَّة العميقة. ظاهريّاً يريدون الحلولَ السهلة العمليَّة التي تؤدِّي إلى نجاحهم في الامتحان، ولذلك يَرْفضون ـ في البداية ـ مسألةَ العودة إلى المراجع، والاجتهادَ في إعداد المحاضرات ومناقشاتها. لكنِّي أعرف أنَّهم خائفون من التعبير عن أنفسهم، ولا يعرفون كيف يفعلون ذلك، ولا يثقون بالأساتذة لكون هؤلاء جزءًا من السلطة، ويخافون من زملائهم الذين لم يتعوَّدوا الحوارَ معهم كأنداد. غير أنّهم حين يجدون الإنسانَ الصادقَ المخلصَ الذي يتّسق فعلُه مع قوله، ويتأكَّدون من ذلك ـ بعد مرّات كثيرة من الاختبارات ذاتِ الطرق الملتوية والمعقّدة ـ يصبحون بشرًا آخرين. أما أنا، فلولا هؤلاء، ولولا هذه التجربة التي تُثْريني بالخبرة والتجدُّد، لكان يأسي قد اكتمل؛ لكنتُ الآن ميتًا.

القاهرة